فـإِنْ كُـنـتَ مُـشـتـاقـاً فَـسِـرْ نَـحْـوَ بـابِـنـا
فـنـحـن إلـى مـا كـان مِـنْ ذاكَ أَشْـوَقُ[١]

١٥٩
صديق خلوق

[الطويل]

أَيـا شِـبْـهَ لَـيْـلَـى لا تُـراعـي فـإِنَّـنـي
لـكَ الـيـومَ مِـنْ بـيـن الـوحـوشِ صـديـقُ[٢]

ويـا شِـبْـهَ لـيـلـى أَقْـصِـرِ الـخَـطْـوَ إِنـنـي
بِـقُـرْبِـكَ إِنْ سـاعَـفْـتَـنـي لَـخَـلـيـقُ[٣]

ويـا شِـبْـهَ لَـيْـلَـى رُدَّ قـلـبـي فـإِنَّـهُ
لـهُ خَـفَـقـانٌ دائِـمٌ وبُـروقُ[٤]

ويـا شِـبْـهَـهـا أَذْكَـرْتَ مَـنْ لَـيْـسَ نـاسـيـاً
وأَشْـعَـلْـتَ نِـيـرانـاً لَـهُـنَّ حَـريـقُ[٥]

ويـا شِـبْـهَ لَـيْـلَـى لَـوْ تَـلَـبَّـثْـتَ سـاعـةً
لَـعَـلَّ فُـؤادي مِـنْ جَـواهُ يُـفـيـقُ[٦]

---

(١) وتُردف قائلة، معبّرة عن رغبتها في اللقاء لتحمله على المشاركة الوجدانية طالبة منه أن يبادر إلى المجيء إلى ديارها؛ فشوقها إلى لقاء من تهوى شديد أكثر من حبيبها.

(٢) يُخاطب الشاعر غزالاً شبيهاً بليلى برقّته وجماله طالباً ألّا يخاف منه ومن غدره، فهو صديق، والصديق لا يغدر، بل حبّه لليلى يحمله على إكرامه.

(٣) ويتابع الشاعر مخاطبة شبه ليلى ألّا يسرع الخطو، فإنه بحاجة لمساعدة وهو يستحقّ ذلك.

(٤) و (٥) ويتابع الشاعر مخاطبة شبه ليلى أن يُعينه على استعادة قلبه الذي حملته معها مستأثرة به. وها أنت تذكره بمن أحبّ، وهو في الحقيقة غير ناسٍ ولكنّك جدّدت ما في القلب من حرارة متأججة فزدت في استعارها واشتعالها من جديد.

(٦) ويطلب الشاعر من شبيه ليلى البقاء معه ولو لساعة فيمكن أن يهدأ القلب وتخفّ وطأة عذاب لطالما لازمه، فيقود إلى القلب سكونه وطمأنينته.

ويـا شِـبْـهَ لَـيْـلَـى لـن تَـزالَ بِـرَوْضَـةٍ
عـلـيـكَ سَـحـابٌ دائِـمٌ وبُـروقُ[١]

فـمـا أَنـا ـ إِذْ أَشْـبَـهْـتَـهـا ثُـمَّ لـم تَـؤُبْ
سـلـيـماً ـ عـلـيـهـا فـي الـحـيـاة شَـفـيـقُ[٢]

عُـتِـقْـتِ فـأَدِّي شـكـرَ لَـيْـلَـى بِـنِـعْـمَـةٍ
فـأَنـتِ لِـلَـيْـلَـى إِنْ شَـكَـرْتِ طَـلِـيـقُ[٣]

فـعَـيْـنَـاكِ عَـيْـنَـاهـا وجِـيـدُكِ جِـيـدُهـا
سـوى أَنَّ عَـظـمَ الـسَّـاقِ مـنـكِ دَقـيـقُ[٤]

وكـادَتْ بِـلادُ الـلَّـه يـا أَمَّ مـالِـكٍ
بِـمـا رَحُـبَـتْ مِـنْـكُـمْ عـلـيَّ تَـضـيـقُ[٥]

يُـذَكِّـرُنـي لـلـوصـلِ أَيَّـامُـنـا الأُلَـى
مَـرَرْنَ عـلـيـنـا والـزَّمـانُ وَرِيـقُ[٦]

---

(١) ويتمنّى الشاعر لشبه ليلى هناءة الحياة في ظلّ روضة روتها مياه سحابة سحّاء تمطر بسخاء.

(٢) حبّ الشاعر لليلى يحمله على الحرص على حياة شبيه ليلى ويعمل على حفظه سليماً من كلّ شرّ، وإلّا فلا يعتبر نفسه رحيماً لحبيبته رؤوفاً بها.

(٣) يطلب الشاعر من شبيه ليلى أن تشكرها، فليلى سبب حريّتها، لذا فأنت طليقة.

(٤) ورد البيت في: الكامل، للمبرّد: ٥٠٩، الخصائص، لابن جني ٢: ٤٦٠، المقرّب، لابن عصفور: ١١١، خزانة الأدب، للبغدادي ٤: ٥٩٥. والتشابه بين ليلى والظبية يكاد يكون تاماً، فعينا الظبية كعيني ليلى، وجيدك كجيدها، والفارق أن عظم الساق لديك دقيق.

(٥) ورغم اتساع الكون، فقد تقلّصت المسافات فضاقت على الشاعر الأرض بما رحُبت بسبب ليلى وما جرّته على الشاعر من ويلات.

(٦) يتذكر الشاعر أيام الوصل والودّ والحبّ التي عاشها في كنف حبّه وسعادته يوم كان الزمان أخضر وارفاً يستظلّان بوارف ظلاله.

أَرُدُّ سـواءَ الـطَّـرْفِ عَـنْـكِ ومـا لـه
عـلـى أَحَـدٍ إلَّا عـلـيـكِ طَـريـقُ(١)
عـسـى إنْ حَـجَـجْـنـا أَنْ نـرى أُمَّ مـالـكٍ
ويَـجْـمَـعُـنـا بـالـنَّـخـلَـتَـيْـنِ مَـضـيـقُ(٢)
تَـتـوقُ إلـيـكِ الـنَّـفْـسُ ثُـمَّ أَرُدُّهـا
حـيـاءً ومـثـلِـي بـالـحَـيـاءِ حَـقـيـقُ(٣)
ولـو تَـعْـلَـمـيـنَ الـغَـيْـبَ أَيْـقَـنْـتِ أَنَّـنـي
ورَبِّ الـهَـدايـا الـمُـشْـعِـراتِ صَـديـقُ(٤)
سَـلِـي هَـلْ قَـلانـي مِـنْ عَـشـيـرٍ صَـحِـبْـتُـهُ
وهـل ذَمَّ رَحْـلـي فـي الـرِّفـاقِ رَفـيـقُ(٥)

١٦٠
ليلى المريضة

[الطويل]

يَـقـولـونَ: لَـيْـلَـى بـالْـعِـراقِ مَـريـضَـةٌ
فَـمَـا لَـكَ لا تَـضْـنَـى وأَنْـتَ صَـديـقُ(٦)؟!

---

(١) يومها كان الشاعر قد قصر النظر على حبيبته دون سواها من بنات جنسها، لذا فلا طريق لغيرها بالمرور على مخيّلته.

(٢) يتمنّى الشاعر أن يلتقي بأمّ مالك في موسم الحجّ إذا قضى اللّه تعالى ذلك حيث مضيق النخلتين.

(٣) ثمَّة شوق يقودني إلى ليلى، ولكن محاولات أبذلها لمنع نفسي من أن تجرّني لرؤياك، وذلك بسبب حياء حقيقي يحول دون توقي إليك.

(٤) يقصد بالهدايا المشعرات: حواسّ الإنسان وكل ما تقوم به حياة البشر. ويخاطب الشاعر حبيبته أنها لو كانت على علم حقيقي في داخلها ممّا يُضمره لها من حبّ وإخلاص، وتأكيداً لذلك يُقسم بخالق الإنسان السويّ أنه صديق يحبّ الخير لها.

(٥) وتأكيداً لمدعاه يطلب الشاعر من حبيبته أن تسأل عارفيه أنه مخلص فلم يتخلّ أحد ما عن صداقته له، ولم يذمّ له رفيق صفات سيئة أثناء مرافقته في السّفر.

(٦) يتناقل الناس خبراً مزعجاً أن ليلى مريضة في العراق، ديار الغربة، بعيدة عن =